

الاستشراق، بحث في الثوابت والمتحوّلات*

Orientalism: A study of constants and variables

د. محمد الصادق بوعلامي

المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات، جامعة قفصة، الجمهورية التونسية

bouallegui.med.sadok@gmail.com

ملخص:

إنّ من الطبيعي والمنطقي في مباحث علوم الإنسان أن تتغيّر الآراء والمواقف من ثقافة الآخر وحضارته وخصائصه الانثروبولوجية، بتغيّر مكتسباته وتطوّرها من جهة، وبتغيّر محصول معارف الإنسان وعلومه من جهة أخرى. لكن أن تتغيّر خصائص الآخر وتبدّل كلّ سياقاته، وتكتشف العلوم من الأنا والآخر ما كان مجهولاً، ورغم كلّ ذلك تظلّ المواقف المتبادلة بين الأنا والآخر نفسها، فإنّ ذلك ممّا لا يستوعبه منطق ولا يستسيغه نظام معرفي، ويؤكد أنّ المسألة تدور على غير أسمائها الحقيقية.

استهدفت الورقة البحثية النظر في الصيرورة المعرفية للاستشراق، مبتغية البحث في صدى الاكتشافات العلمية في الفكر الاستشراقي، ومستهدفة في الآن نفسه دراسة أثر التحوّلات الانثروبولوجية لحياة المسلم في فكر المستشرقين. تبين من خلال البحث أنّ جوهر الرؤية الاستشراقية واحد والمهدف واحد، وإنّ تغيّرت السياقات وتبدّلت المناهج ممّا يطرح السؤال حول أسباب ثبات المواقف الاستشراقية وعدم تغيّرها؟

الكلمات المفتاحية: استشراق، تغيّر، ثبات.

Abstract:

The research paper aims to examine the cognitive process of Orientalism, striving to investigate the impact of scientific discoveries on Orientalist thought, attempting at the same time to study the impact of anthropological transformations of Muslim life on the thought of Orientalists. It has become clear through the research that the essence and goal of the Orientalist vision remains unchanged, despite the changes in contexts and approaches. This raises questions about the reasons behind the stability of the Orientalist positions and their lack of alignment with changes.

Keywords: Orientalism, change, stability

*

تاريخ النشر: 2024 /10/15	تاريخ قبول البحث: 2024/09/25	تاريخ استلام البحث: 2024/06/17
--------------------------	------------------------------	--------------------------------

مقدمة:

لم تتقطع علاقة الشرق بالغرب رغم صيرورتها التاريخية، فقد عرفت تحولات وتغيرات في طبيعتها وفي أهدافها من مرحلة تاريخية إلى أخرى، ولكن ظلت العلاقة مستمرة حتى لكأنه لا يمكن لطرف الاستغناء عن الآخر¹.

إن استمرار العلاقة بين الشرق والغرب جعلت من هما موضوع اهتمام، ومجال تفكير وبحث علميين من كلا الطرفين. فقد اهتم قدامى الغربيين بالشرق الروحاني، كما اهتم به المعاصرون منهم أيضا باعتباره مصدرا لإيديولوجيا عقائدية قاتلة، وباعتباره أيضا مصدرا للثروات والمنافع والمكاسب. واهتم مساهمو الشرق الأوائل بالغرب النصراني وبأهله ومعتقداته باعتباره مجالا لانتشار الدين الجديد وتوسعه على حساب المسيحية وغيرها من الديانات والمعتقدات، واهتم به المعاصرون أيضا منذ عصر النهضة العربية باعتباره النموذج الأصلح للتقدم والتمدن المنشودين بالنسبة إلى أهل الشرق ولأنه حامل مشروع الحضارة ومصدر مفاهيمها وآلياتها.

وقد تشكلت مباحث معرفية وعلمية اتخذت من ثنائية الشرق/غرب مجالا لها ورسمت كل واحدة أهدافها وغايتها، فكانت مثلا مباحث الاستغراب ضدادة لمباحث الاستشراق وردا عليها. غير أننا في هذه الورقة العلمية المقترحة نروم الاهتمام بصيرورة علاقة الغرب بالشرق من جهة الرؤى الفكرية بغية الوقوف على الثابت منها والمتحوّل.

لم ينقطع عبر التاريخ اهتمام المفكرين والباحثين وحتى السياسيين الغربيين بالشرق وأهله وخصائصه الثقافية والحضارية وحتى الطبيعية، اهتماما ارتكز خاصة منذ نهايات القرن الماضي على آخر ما توصلت إليه بحوث العلوم الإنسانية ودراساتها المعاصرة. ولئن كان البحث العلمي يشترط العقلانية العلمية ويستوجب الموضوعية والحيادية، فإنه يفضي منطقيا إلى تجدد الرؤى الغربية للشرق وأهله وتطورها لإفادتها من محصول العلوم الإنسانية المعاصرة. غير أن الباحث يدرك في يسر أن جلّ البحوث الاستشراقية الغربية المعاصرة لم تحرر من هيمنة صور الشرق النمطية الأولى التي نسج ملامحه يوحنا الديمشقي المتوفى سنة 749م، ذلك أن رؤى الغرب الاستشراقية المعاصرة لم تتخلص من دونية النظرة ولم تكف عن إلحاق الأذى المستمر بأهل الشرق في معتقداتهم ومقدساتهم، وكذلك في ثراتهم وفي سياساتهم وتوجهاتهم الاستراتيجية التي ظلت دوما سجيحة الرؤى الغربية.

في هذا السياق ارتأينا أن نبحث في صيرورة الاستشراق التاريخية وفي أسباب استمرار الرؤية الدونية لأهل الشرق من خلال استخراج ما ظلّ في هذا المبحث ثابتا من صور نمطية للشرق وأهله،

لم تؤثر فيها ما اكتسبته العلوم الإنسانية من معارف مستحدثة، ولم تغيرها السياقات التاريخية المتحوّلة للشرق، لأنّ ثمة جملة من الأفكار والتصورات ظلّت ثابتة في المخيال الغربيّ ومتحكّمة في وعي المستشرقين، وموجهة أيضا لرؤى وسياسات الغرب، تجاه الشرق، وهي المتجلىّة اليوم في ما يعانیه الشعب الفلسطينيّ من إبادة جماعيّة وتطهير عرقيّ وغيرها من الجرائم في حقّ الإنسانية، ولكنّ زعماء حقوق الإنسان ودعاة التنوير والديمقراطية المعاصرين في الغرب قد استبدّت بهم الصور الدونية الأولى للشرق وأهله وتحكّمت في توجهاتهم وقراراتهم، فلم يتحرّك لهم وازع لا إنسانيّ ولا حقوقيّ ولا ديمقراطيّ تجاه ما يعانیه الشرقيّ في فلسطين، مقابل حساسية مفرطة لما يتعرّض له سكّان أوكرانيا من قتل وتعذيب من الجيوش الروسية الغازية. لتكون بذلك ورقتنا البحثية محاولة في فهم اللحظة التاريخية وخصوصياتها.

تنطلق الورقة البحثية من قاعدة مفاهيمية تضبط مفهوم الاستشراق وعوامل تشكّله ومرتكزاته الفكرية والعقائدية، باعتباره تصوّرا ذهنيا/فكريا قائما على تهجين الشرق والاستخفاف به، دينا ومعتقدا² مستفيدة مما وصلت إليه الدراسات والبحوث في هذا الغرض، وغير مكثفة بها لتتبع أثر التحولات والتغيرات الحاصلة في سيرورة مبحث الاستشراق في التصوّرات والرؤى للشرق وأهله وعلاقتها بتلك المرتكزات التأسيسية، بغية استيضاح سبب استمرار الرؤية نفسها للشرق. فما الاستشراق؟ وما مرتكزاته النظرية؟ وماهي أبرز لحظات التفصيل التاريخي في هذا المبحث؟

(I) الاستشراق: النشأة الدينية والوظيفة العقائدية

(1) النشأة وأبعادها والمفهوم ودلالاته

الاستشراق في المصنّفات وفي الدراسات والبحوث العلمية أنواع وأنماط. فالاستشراق، من جهة أولى ظاهرة ثقافية دينية وسياسية، متجذّرة في التاريخ ومرتبطة بظهور الدين الإسلامي، دينا منافسا للديانة المسيحية ومكتسحا لمجالاتها. والاستشراق من جهة ثانية مبحث علمي أكاديمي له مفكروه وباحثوه وعلماءه كما ذهب إلى ذلك إدوارد سعيد، لذلك يعسر ضبط حدّ مانع لمفهوم الاستشراق. أمر نلاحظه حتّى في كتابات إدوارد سعيد نفسه وقد ضبط للاستشراق أكثر من مفهوم.

ومهما تعدّدت التعاريف واختلفت فإنّ الاستشراق يظلّ أسلوبا في التفكير يهتم بالشرق وأهله انطلاقا من مركزية غربية ترى نفسها هي المرجع والمعيار في تقويم الآخر والحكم على خصائصه ومميزاته الانتروبوجية، ويقوم هذا التفكير على تمييزين إثنيين بين الشرق والغرب؛ الأول تمييز أنطولوجي/وجودي في معنى أنّ ماهية الغربيّ المسيحيّ أفضل، جبلة وطبيعة، من ماهية الشرقيّ. والتمييز الثاني

تميز إبتيمولوجيًّا فالغرب هو صاحب العقل والعلم والمعرفة وهو صاحب المشاريع التي كانت وراء تقدّم البشريّة وتطورها.

في كلّ الأحوال فإنّ الغرب المسيحيّ قد أقام التمييز لا على حقائق تاريخيّة ومعرفيّة نسلت من بحوث ودراسات علميّة، إنّما على متخيلٍ وهميٍّ وظنيٍّ مرتسم في الذهن تمتدّ جذوره إلى القرن الثامن ميلادي، إلى اللّحظات الأولى لانبثاق الإسلام وتجدّده في الوعي المسيحيّ، ديانة منافسة للمسيحيّة بل معادية لها، ممّا دفع اللاهوتيين المسيحيين وعلى رأسهم يوحنا الدمشقي (Jean Damascène 676 - 749م) إلى الطعن في هذه الديانة الغازية، وإلى تقييح صورة صاحبها وتكذيب دعوته³. ففي أحضان الكنيسة وبرعايتها، وبين جدران الأديرة التابعة لها أنجزت أولى الأعمال البحثيّة الهادفة إلى معرفة الإسلام وتراثه. وقد كان الرهان الأكبر الذي يحرّك فضول رجال اللاهوت تجاه الإسلام هو التصديّ لهذه الديانة الآخذة في الانتشار والتمدّد على حساب المسيحيّة في الأقطار التي سبق أن تجذّرت فيها على امتداد الإمبراطورية البيزنطيّة.

لم ينشأ الفكر الغربي المسيحي المهتمّ بالشرق ثقافة وحضارة، مبحثاً معرفياً مستقلاً بذاته وذا أهداف علميّة معرفيّة، بل نشأ وليداً غير شرعيّ لللاهوت المسيحي وسليل علاقة عداويّة، عقائدياً، بين الشرق والغرب تشكّلت نواتها الأولى مع يوحنا الدمشقي (ت 749م)، وتجلّت بوضوح في مصنّفاته ذات النزعة التهجيميّة على الرسول وعلى القرآن⁴. ثمّ تنامى الفكر المهتمّ بالشرق و"اكتسب الاستشراق صفة المؤسّسيّة علميّة تنفيذيّة منذ انعقاد مجمع فينا الكنسي عام 1312 فقد أوصى هذا المجمع بتأسيس كراسي الأستاذيّة في العربيّة واليونانيّة والعبريّة والسريانيّة"⁵، ومع إنشاء كراسي اللغات في العديد من الدول الغربيّة تأسس اهتمام الغرب المسيحيّ بالشرق. ولم تقطع اهتمامات القائمين على هذه الكراسي بالرؤى الفكرية التي لهجت بها مصنّفات يوحنا الدمشقي على التباعد التاريخيّ بينهما.

قد اتّسعت دائرة الاستشراق وأصبحت اهتماماً غريباً بمختلف علوم الشرق ولغاته وآدابه وحضاراته وأديانه، ومعتقداته اهتماماً منسجماً مع الرؤى الموروثة وموظف لدى جمهور كبير جداً من الكتاب والشعراء والروائيين والفلاسفة والسياسيين. وقد أفادت الحركة الاستشراقية في ذلك من تأسيس الجمعيات العلميّة مثل الجمعية الأسيويّة البنغاليّة (1784م) والجمعية الشريّة الأمريكيّة (1842م)، وغيرهما وبذلك تجمّعت العناصر العلميّة والإداريّة والماليّة وأسهمت جميعها إسهاماً فعّالاً في البحث والاكتشاف والتعرّف على عالم الشرق وحضارته في ظاهر نشاطها، ولنشاطها مآرب أخرى، ولكن أصبح الاستشراق قائم الذات والهويّة، اتّجهاً فكرياً، ومبحثاً علمياً أكاديمياً، ورؤية سياسيّة واقتصاديّة، فضلاً عن الموقف الدينيّ العقائديّ.

عرف الاستشراق تحوُّلاً هاماً بنشاط مختلف الكراسي وظهور جمعياتٍ لمتابعة الدراسات الاستشراقية وبإنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية في فرنسا برئاسة المستشرق الفرنسي سلفستردى ساسي (Silvester de Sacy ت 1838 م) وقد اعتبرت هذه المدرسة قبلة المستشرقين الأوروبيين، وساهمت في صبغ الاستشراق بالصبغة الفرنسية مدة من الزمن. ويعتبر أهمّ تحوُّل في الفكر الاستشراقي هو انفتاحه على ما عرفته أوروبا من نزعة الأنسنة، وما قدّمته فلسفة الأنوار من أفكار وفلسفات أسست تمثلاً مغايراً إلى الإنسان والطبيعة والله في ظلّ تراجع دور الكنيسة وتحكّمها في توجيه دارسي الشرق، حتّى أنّ بعض الاتجاهات في الاستشراق أصبحت تنقد ما قام به أوائل المستشرقين من تقبيح لصورة الشرق وصورة الإسلام والمسلمين وتراجع الاتجاه اللاهوتي في الاستشراق.

2) مرتكزات الاستشراق العقديّة والفكرية

أ- الاستشراق واللاهوت:

لم يكن الاستشراق جهداً فكرياً من أجل المعرفة وتبيين نظم الآخر المختلف عقائدياً وفكرياً وثقافياً وتفهمها للتعايش معه إنسانياً وحضارياً، بل تبيّن للباحث أنّ من مرتكزات هذا النشاط الفكري، ارتباط ارهاصاته الأولى وقبل تشكّله مبحثاً علمياً ومؤسّساتياً بالمجال الديني، فقد سعى أعلامه الأوائل إلى الاهتمام بالرسول وبدعوته من ذلك الحرص على ترجمة القرآن إلى لغاتهم، وبدا اهتمام بعض اللاهوتيين المسيحيين مبكراً بالفكر الديني الإسلامي فقد ذكر مصطفى السباعي⁶ في مقدّمة هؤلاء " جبر دي أوراليك، (de Oraliac Jerbert ت 1003 م) الذي انتخب حبراً أعظم باسم "سلفستر الثاني" وهو في نظره من المؤسّسين الأوائل للاستشراق، ويشير محمود حمدي زقزوق أنّه "بداية من 1130 م بدأ العلماء المسيحيون في أوربا يعملون على ترجمة الكتب وقد أشرف الراهب الفرنسي بطرس المبعجل (ت 1156 م) على عمل فريق من المترجمين في أسبانيا للحصول على أوّل ترجمة للقرآن إلى اللاتينية بهدف التعرّف على الإسلام للتصدّي له بعد أن تبين أن قوّة السلاح وحدها لم تعد كافية أو مجدية في مقاومته"⁷.

لقد حرصت أعمال المهتمين بمسائل الشرق على رسم صورة تهجينية للدين الإسلامي، رسولا ونصاً ومعتقدات، فأثناء فترة النفوذ الإسلامي في الأندلس بدأت الكنيسة بكتابات تصور شخص الرسول محمد بأنه مسكون بالالشیطان، وأنه ضد المسيح، وانتشرت هذه الأفكار في عموم أوروبا؛ وكان لها دور كبير في اتّحاد صفوف القوات الأوروبية أثناء الحملات صليبية. ومن أبرز من كتب كتّابات مسيئة إلى شخص الرسول في هذه الفترة مارتن لوثر Martin Luther (1483-1564) فقد اعتبر في أحد مقالاته محمداً أول أبناء إبليس، وزعم أن الرسول كان مصاباً بمرض الصرع وكانت الأصوات

التي يسمّعها كأنها وحي، وهي في حقيقتها جزء من مرضه. ويؤكد المفكر التونسي هشام جعنت (ت 2021م) في هذا السياق أنّ مثل هذا التمثّل الانفعالي للإسلام لدى الغرب المسيحيّ "إنّما يستمدّ أصوله من رؤيته للإسلام باعتباره عملاً عدوانياً ضدّ المسيحية"⁸. وهي الرؤية القديمة نفسها التي تعود إلى البدايات والتي مثلتها لحظة يوحنا الدمشقي السابقة.

وترجع البحوث والدراسات أسباب تقبيح الارهاصات الأولى للاستشراق صورة الشرق دينياً، إلى أنّ انتشار الإسلام بالسرعة التي كانت، وتوسّعه وتمدّده في الجغرافية الأوروبية واكتساحه المسيحيّة في عقر دارها كان صدمة نفسية متّصلة الحلقات، وخطراً دائماً على الحضارة المسيحيّة بأسرها ممّا ولد صورة مفزعة ومرهبة في وعي الغربيين وفي لا وعيهم أيضاً، وظلّت هذه الصورة متواصلة في الذهنيّة الغربيّة. شبّه الكاهن إيرشمبير - فيما أورده عنه إدوارد سعيد - جيش المسلمين بأسراب نحل بأياد ذات بأس إنّ "جيوش المسلمين كانت تشبه أسراب النحل إلى حدّ كبير ولكن أيديها ذات بأس شديد فاجتاحت كلّ شيء"⁹، لذلك مثل الإسلام مصدر استفزاز حقيقي لأوروبّا فقد جاور - دون غيره - المسيحيّة جغرافياً وثقافياً، متجاوزاً ما جاءت به المسيحيّة من معتقدات وتعاليم دينية وحقق نجاحات عسكريّة وسياسيّة في حين لم تشكّل الديانات الأخرى مثل الديانات الهندية تحدياً بالنسبة للأوروبيين.

فنتسج في يسر أنّ العامل الدينيّ من ثوابت الاستشراق قبل تأسسه وتشكّله مبحثاً معرفياً وظلّ كذلك بعد التأسس، إذ لم تبتعد أهداف الاستشراق بعد تأسسه عن أهدافه الأولى وإن أضمرت داخل مباحث أكثر علميّة وأقل نزعة أيديولوجيّة، فنذ سنة 1840 إلى حدود الحرب العالميّة الثانية، كانت أهمّ مجالات البحث التي اختصّ بها مستشرقو هذه المرحلة هي مباحث العقائد الإسلاميّ والدين الإسلاميّ وحياة الرسول.. فقد كتب جارلف فان فلوتن الهولندي (Gerlof van Vloten ت 1903) مثلاً عن السيطرة العربيّة زمن الأمويين¹⁰. وكتب نولدكه (Theodor Nöldeke ت 1930م) عن تاريخ القرآن الكريم¹¹، وعن الرسول وكتب (wellhausen ت 1918) محمد في المدينة، وغيرهم كثير، ولم تتخلّص تلك المصنّفات رغم منزلة أصحابها العلميّة من الموروث الاستشراقي فقد اسمرت الرؤية التهجينيّة للإسلام، معتقداً ونصّاً ورسولاً، حاضرة في مؤلّفاتهم.

وعرف الاستشراق منذ ثلاثينات القرن العشرين تحولا من دراسة التراث إلى دراسة الإسلام المعاصر لرهانات مؤسسات الدوائر الاستعماريّة الكبرى بمؤسّساته من ذلك الاهتمام بدراسة اليهود في المجتمع الإسلاميّ بداية من ثلاثينات العشرين، نشاطهم وعلاقتهم بالمسلمين. ولا يخفى ما بين هذا الاهتمام وما كان يجري من إعداده من مخططات لتوطين الصهاينة في فلسطين. ومن ذلك دراسة البريطاني ديفيد صمويل مرجليوث (David Samuel Margoliouth ت 1940م) لعلاقة اليهود

والعرب¹². وأطروحة دكتوراه قدّمها الهولندي فنسنك (Arent Jan Wensinck ت 1939 م) حول موقف الرسول من يهود المدينة، واهتمّت المدرسة الاستشراقية الألمانية بدراسة القوميات العربية والفارسية والتركية.

لقد ظلت المسألة الدينية العقائدية وما يتفرّع عنها من قضايا ومواضيع جزئية حاضرة بكثافة في مصنفات المستشرقين على مرّ القرون، وإن كان لا ننكر جليل الخدمات التي قدّمها المستشرقون للثقافة العربية الإسلامية سواء باكتشاف المخطوطات العربية وتحقيقها ونشرها، أو بما أنجزوه من أبحاث حول قضايا الثقافة العربية الإسلامية وأعلامها، إلا أننا نقرّ إلى ذلك أنّ هيمنة المسائل الدينية على فكر المستشرقين واهتماماتهم لم تخل من رواسب الصورة النمطية التي ارتسمت في لا وعي الثقافة الغربية حول الإسلام والمسلمين.

ب- الاستشراق والسياسة

لم يكن العامل الديني الدافع الوحيد للفعل الاستشراقي، بل كان للعامل السياسي، خاصة منذ سقوط دولة الإسلام وترهل الأنظمة السلطوية الممثلة لها دوره البارز في دفع الفعل الاستشراقي نحو أقاصيه بتسخير المعدات والوسائل وتجنيد الباحثين والعلماء لتحقيق مطامح سياسية واقتصادية. فقد ظفرت سياسات الغرب المسيحي في المستشرقين والفعل الاستشراقي بأجهزة معرفية علمية جاهزة بها سعت إلى تهيئة المناخات الملائمة لتحقيق أهدافها بأيسر السبل وأضمن المسالك. فجندت هذه السياسات طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضها وتحقيق أهدافها وتمكين سلطانها من الشرق والمشرقيين، فنشأت رابطة رسمية وثيقة بين الاستشراق والسياسة التوسعية للغرب المسيحي، وانساق في هذا التيار، عدد من المستشرقين ارتضوا لعلهم أن يكون وسيلة لإذلال المسلمين وإضعاف شأن الإسلام وقيمه والإنسان الشرقي بصفة عامة - ومع ذلك نشير إلى أنّ هذا التوجّه لم يشمل كلّ المهتمين بالاستشراق، وليس أدلّ على ذلك أنّ بعض المستشرقين نقد من تواطأ منهم مع المؤسسة من ذلك أنّ المستشرق الألماني المعاصر (استفان فيلدStephan Wild) ¹³ اعتبر مثل هذه الأعمال الاستشراقية مخزية ودعا المستشرقين المخلصين لرسالتهم إلى رفضها.

وقد حفل تاريخ الاستشراق بما لا يدع مجالاً للشك بتواطؤ الاستشراق مع السياسة الغربية وخاصة الاستعمارية فالسلطة السياسية تعتمد المعرفة سلطة تمكّنها من الهيمنة والسيطرة ومن بين الأمثلة العديدة لارتباط الاستشراق بالسياسات الاستعمارية نذكر المستشرق كارل هينريش بيكر (Karl Heinrich Becker ت 1933 م) مؤسس (مجلة الإسلام) الألمانية الذي قدّم دراسات

تخدم الأهداف الاستعمارية الألمانية في أفريقيا وقد اعتبره المستشرق الألماني (أوليريش هارمان Ulrich Harmann:) من المستشرقين المنغمسين في النشاطات السياسية، ورآه شديد الحماس لمخطط استخدام الإسلام في أفريقيا والهند كدرع سياسي في وجه البريطانيين .

ومما يدعم هذا الرأي أنّ عالم الإسلاميات الهولندي الشهير سنوك هورجرونيه Christiaane Snouck Hurgronj (ت 1936م) كان قد توجه إلى مكة في عام 1885م بعد أن انتحل اسماً إسلامياً هو (عبد الغفار)، وأقام هناك ما يقارب من نصف عام ثم خرج إلى أندونيسيا خدمة لهولندا المستعمرة لاندونيسيا، وكان قد حصل من جامعة ليدن سنة 1880 على درجة الدكتوراه بموضوع حول الحج عند المسلمين وأهميته في الدين الإسلامي. ولعب هذا المستشرق دوراً هاماً في تشكيل السياسة الثقافية والاستعمارية وقد شغل مناصب قيادية في السلطة الاستعمارية الهولندية في إندونيسيا. وعمل عدد من المستشرقين الفرنسيين مستشارين لوزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا، إذ شغل المستشرق دي ساسي منذ 1805م منصب المستشرق المقيم في وزارة الخارجية الفرنسية. وعندما غزا الفرنسيون الجزائر سنة 1830م كان دي ساسي مترجم البيان الموجه للجزائريين، وظلّ يُستشار بانتظام في جميع المسائل المتعلقة بالشرق من قبل وزير الخارجية، وفي حالات معينة من قبل وزير الحرية أيضاً. وهدفت أعمال المستشرقين في هذا المجال إلى إضعاف المسلمين في عقيدتهم حتى تسهل قيادتهم.

وإجمالاً يمكن القول في اطمئنان أن رجال السياسة في الغرب ظلّوا على صلة وثيقة بأساتذة كليات اللغات الشرقية في أوروبا ويستمعون إلى آرائهم ويرجعون إليهم قبل أن يتخذوا القرارات الهامة في الشؤون السياسية الخاصة بالشعوب العربية والإسلامية. فقد اعتمدت السياسات الغربية المسيحية على الاستشراق، ووظفته في توسعها الاستعماري، ووظفته بكل مؤسساته، وأدواته العلمية، والمعرفية، وكل إمكانياته لتحقيق أهداف غير أخلاقية وغير إنسانية، كان أبرزها تمهيد الأوضاع في أقاصي البلدان غير الخاضعة للسيطرة والاحتلال، من خلال انجاز بحوث ودراسات حولها، وقامت المؤسسات السياسية والاقتصادية بمساعدة وتمويل من تراه أكثر ملاءمة وموافقة لتوجّتها وتمويله بما يحتاجه. فقد أيقنت أن السياسة العسكرية وحدها لم تعد ناجعة لتمكّنها من بلوغ أهدافها ومراميها وهو الرأي نفسه زمن الحروب الصليبية، فكان الاعتماد على سلاح العلم أيضاً، الذي استنجد الاستعمار الفرنسي به، ووظفه إيديولوجيا في خدمة أهدافها. ونظرا إلى فرط ارتباط الفعل الاستشراقي بالحركة الاستعمارية وبأهدافها التوسعية فإنّ بعض الباحثين اصطّح على العمل الاستشراقي في هذه المرحلة التاريخية بالاستشراق الاستعماري، والذي ظلّ متمسكا بالرؤى ذاتها للاستشراق السابق حول الدين الإسلامي والقرآن والرسول. يقول الباحث المنصور الشيباني في هذا السياق "سعى هذا الدرس (الدرس

الاستشراق) إلى محاولة نقض الإسلام وتفكيك بنيته الداخلية ومقوماته الأساسية في كلّ جوانبها المادية والرمزية والروحية¹⁴

نستنتج أنّ الاستشراق، فعلا معرفياً، مرتبط دوماً بأهل النفوذ والسلطة ومرتهن لهم يخدم رؤاهم الاستراتيجية فلما كانت الكنيسة مهيمنة على السلطة ارتبط الاستشراق ارتباطاً وثيقاً باللاهوت، ولما سادت العلمانية وتراجعت هيمنة الكنيسة، ارتهن الاستشراق بكلّ وسائله بالمؤسسة السياسية وأدواتها في عملها خارج أراضيها الصليبية، أمر يؤكد ما بينه ميشال فوكو في علاقة السلطة بالمعرفة.

(II) الاستشراق الجديد

(1) في الأسس والتمثيلات

أخذ مفهوم الاستشراق التقليدي يتراجع تراجعاً ملحوظاً منذ انتهاء الحرب الباردة نتيجة التفاعلات التاريخية في الغرب الأوروبي ثم الأمريكي، ونتيجة كذلك للمعطيات السياسية والمستجدات على صعيد العلوم الطبيعية والإنسانية. فقد تراجعت مفاهيم كانت مطلقة مثل مفهوم الحداثة واستباعتها، وتنسبت مقالة المركزية الأوروبية ودورها في تمدن العالم وتويره ونشر الحضارة الحديثة بفعل فلسفات ما بعد الحداثة ونقدها الجذري لفلسفة الأنوار ومقالاتها. لتلك العوامل وغيرها ظهرت مصطلحات ومفاهيم جديدة في مجال الاستشراق من قبيل مستعرب، أو مختصّ بالإسلاميات، أو خبير، يقول برنار لويس (Bernard Lewis ت 2018) "لقد أصبح مصطلح المستشرق الآن أيضاً ملوثاً بشكل كبير، لكن هذا لا يكتسي أهمية كبرى لأن المصطلح فقد قيمته بالفعل وتخلّى عنه في الواقع أولئك الذين وسمو به سابقاً، وقد تمّ التعبير عن هذا التخلي رسمياً في المؤتمر الدولي التاسع والعشرين الذي جمع عدداً من المستشرقين الذين التقوا في باريس صيف عام 1973م¹⁵. وتحوّل هذا الحقل المعرفي إلى تخصصات علمية محدّدة في موضوعها وإشكالياتها كعلم الاجتماع، وعلم الاقتصاد السياسي، وعلم الألسنية وعلم الإناسة وعلم الأعراق (الإثنولوجيا) ومختلف فروع التاريخ العام.

هذا التحوّل جعل الحقل الاستشراقي الجديد بعمومه جناحاً من العلوم الاجتماعية والإنسانية. وأصبح العمل الاستشراقي الجديد، في الاتجاه العام، علماً إنسانياً اجتماعياً يطبّق مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية في دراسة شعوب الشرق وثقافتها، ولم يبق الاستشراق عملاً مختصاً للأكاديميين فقط، وإنما شارك في صياغة خطابه الصحفيون والكتّاب والباحثون والخبراء والمدوّنون والناشطون في الحقول الفكرية والإعلامية المختلفة، وفي حقول الدراسات الأمنية. وقد اعتبره أوليفيه مووس (Olivier Moos) "مذهباً ثقافياً جديداً ذا طبيعة أخلاقية بمعنى طريقة لأشكلة المجال الإسلامي والعلاقات

بين الهوية الإسلامية والهوية الغربية، ويقوم على تجديد افتراضات الاستشراق الكلاسيكي ومتطلبات الدفاع عن قيم الديمقراطية والحداثة¹⁶.

بات واضحاً في مصنفات هذه المرحلة التاريخية المهمة بالشرق أنّ تميّط صورة الشرق التي ابتدعها الاستشراق الكلاسيكي خادعة وواهمة. يقول المستشرق وليام مونتغمري واط (W. Montgomery Watt ت 2006) "شاب هذه المعرفة (معرفة أوروبا للإسلام) معلومات مغلوطة. اعتقد أنّ المسلمين وثنيون ويعبدون محمداً وأنّ محمداً ساحر أو شيطان. لاحظ مثلاً أنّ الكلمة الإنجليزية Mahanoud (ماهوند) تعدّ تحريفاً لاسم النبي محمد كما اعتقد بترخيص الإسلام للفسق والفوضى الجنسية"¹⁷.

تغيّرت النظرة وأضحى الشرق في كتاباتهم، شعوباً وثقافات وبلداناً مختلفة ومتباينة، تقتضي منهجية مغايرة فيختصّ كلّ جماعة بضرب من الشرق أو بمنطقة محدّدة وظهرت دراسات استشراقية تهتمّ بالمناطق كلّ ذلك نتيجة ما شهده الفعل الاستشراقي من تغيير سواء في مناهجه أو رؤاه الفكرية واقتراجه من العلمية والموضوعية وإن نسبياً. ومن أبرز أبعاد التغيير الذي دخل العقل الاستشراقي وخاصة في المستوى العلميّ تجاوزه الذهنية اللغوية، فقد أصبح الراغب في دراسة الشرق والإسلام لا يعطي أهمية للغة العربية وإنما يخرط في دراسة متخصصة في علوم الاقتصاد أو في علوم الاجتماع أو الأنتروبولوجيا أو العلوم السياسية أو غيرها من العلوم الإنسانية ويطبّق مناهجها المختصة وأدواتها التفسيرية والتحليلية على موضوع البحث، فيدرس مثلاً التاريخ الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي للمجتمعات الشرقية أو يبحث في أنتروبولوجيا الإسلام، فتكاثرت الدراسات ذات المنحى السوسيولوجي، وقد شمل تغيير المناهج وآليات العمل ومفاهيمه كلّ المجالات بما في ذلك القضايا القديمة مثل قضايا الدين والوحي والقرآن والشريعة والمذاهب الفقهية، فقد تفاعل الباحثون مع التحديات الجديدة مثل إدخال مباحث الظاهرية ولسانيات الخطاب وعلم الاجتماع الديني. وعموماً تحول الاستشراق القديم الى حقول علمية مجاورة وهذه أشد صور التحول سرعة كما بين ادوارد سعيد. ولكن هل رافق هذا التحول في المفاهيم والآليات والمناهج تغيير في الرؤى الفكرية والمضامين المعرفية للمستشرقين أو الخبراء حول الشرق وأهله؟ هل تكسّرت الصور النمطية المرتسمة في وعي الغربي حول الشرق وأهله بفضل العلوم الإنسانية المعاصرة؟

(2) الفصل والوصل في الاستشراق: الثوابت الفكرية والصورة النمطية

يعتبر بعض الدارسين ومنهم مستشرقون مثل أوليفيه مووس، أنّ الاستشراق الجديد ليس سوى إعادة صياغة الرؤى الاستشراقية الكلاسيكية في ضوء محصول العلوم الإنسانية المعاصرة ذلك أنّ

الاستشراق المعاصر لم يقطع مع الاستشراق القديم، وإنما حاول استثمار الأدوات العلمية الحديثة في التوجّهات الرئيسية للاستشراق القديم، وحافظ على ارتباطاته القديمة مع المؤسسات السياسية والاقتصادية والدينية. يقول إدوار سعيد "لا نشكّ في وجود منظومة راسخة لدراسات الشرق الاوسط تمثل مصالح المنتفعين وشبكات من الشركات المهيمنة أو الخبراء التي تربط ما بين نشاط الشركات التجارية والمؤسسات وشركات النفط والعسكريين والإرساليات ووزراء الخارجية والاستخبارات وبين العالم الأكاديمي وفي إطار المنظومة المذكورة نجد المنح والجوائز والمنظمات كلها مكرسة لإضفاء الشرعية والحفاظ على المصالح، وعلى السلطة وسيطرة الأفكار الأساسية التي لا تتغير في جوهرها عن الاسلام والشرق والعرب وعلى أية حال فإن جوهر العقيدة الاستشراقية الجامدة لا يزال قائماً¹⁸. تغيرت المناهج والاليات وظلت الرؤى والصور النمطية نفسها وبقي الشرق وأهله في مرتبة دونية بالنسبة إلى المركزية الأمريكية والأوروبية، ذلك أنه مع نهاية الحرب الباردة كان الكثيرون من طلاب الجامعات او الدراسات العليا في الولايات المتحدة الأمريكية والذين تخصصوا في دراسات الشرق الاوسط مصدرا واضحا للتجنيد لخدمة مختلف الوكالات الحكومية بما فيها وزارة الخارجية المختبرات الأمريكية ووكالة الامن القومي والدليل على الترابط ما بين البحث العلمي الاكاديمي والعمل الاستشراقي أن وزيرة خارجية الأمريكية السابقة كونداليزا رايس (Rice Condoleezza) كانت من هيئة التدريس بجامعة ستانفورد، ومستشقة باحثة في إحدى أعرف مؤسسات البحوث المركزية الأمريكية مؤسسه هوفر للحرب والثورة والسلام وكانت أيضا عضوة في مجلس أمناء مؤسسة رائد¹⁹، ثم أصبحت مهندسة سياسة الفوضى الخلاقة في الشرق الأوسط .

لقد ظلت الصورة النمطية للمسلم الشرقي باعتباره آخر، مختلفا عن الغرب متعصبا وعنيفا وشهوانيا، وهي صورته ذات جذور بالغة القدم تعود إلى يوحنا الدمشقي، وتواصلت حاضرة في الذهنية الغربية المسيحية، من ذلك أن قناة الجزيرة الوثائقية عرضت في 14 نوفمبر 2007 فيلما وثائقيا بعنوان العرب الاشرار²⁰ يفضح بشكل جيد ندالة الأساليب التي تنتجها هوليوود في إظهار الصورة النمطية ضد العرب، وتصورهم بشكل مفرز يأكلون الأطفال ويقتاتون العذارى ويعشقون القتل. تبين للباحث العراقي فاضل الربيعي²¹ من خلال تتبعه التصورات الذهنية السلبية عن العرب والمسلمين التي تمّ ضحها في وسائل الإعلام بشكل مكثف قبل احتلال العراق سنة 2003، أن المسلم في الخيال الغربي بدوي جديد يمتلك لحية كثة غير مهذبة وطويلة وقدرة ويرتدي ثيابا يقصر على الركبة ويحمل حزاما ناسفا وجاهز للانتحار من أجل حوريات الجنة، وهي الصورة نفسها التي تضمنها كتابات المستشرقين الأوائل واعتبرت المسلم كائنا غرائزيا شهويا لا يحتكم إلى العقل ولا إلى المنطق.

وفي المجالات المعرفية الدينية التي تهتمّ بالقرآن والسنة والسيرة نجد التراكمات الاستشراقية التقليدية تترامى بين أدغال نصوص الأبحاث الاستشراقية الحديثه، فلا تزال مصادر الاستشراق التقليدية التي تقوم على رفض الاعتراف بالإسلام دينا سماويا، وترفض الإقرار بالوحي وتصرّ على نسبة العقيدة الاسلامية إلى جذور مختلفة من اليهودية والنصرانية وكذلك لا تنسب الشريعة الاسلامية الى الله بل إلى القوانين البابلية واليونانية والرومانية إلى غير ذلك من المصادر مستمرة. وقد أعاد الاستشراق الجديد إخراجها في ثياب المعاصرة متسرلة آخر التطورات في مجالات المعرفة الانسانية واللغوية، وهي واضحة في كتابات باتريسيا كرون (Patricia Crone ت 2015 م) والمؤرخ البريطاني مايكل كوك (Michael Cook) الذي اعتبر أنّ السامرية هرطقة يهودية. ثم رأى أن الإسلام نقل عن المذهب السامري²² فيصبح هو نفسه هرطقة ضعيفة المستوى. ومن الأطروحات الراديكالية التي قدمها المستشرق والمؤرخ الالماني كريستوف لوكسمبورغ (Christoph Luxenberg)، قراءات سريانية آرمية للقرآن مساهمة في تفسير لغة القرآن الكريم وقد اعتبر أنّ القرآن كتاب فصول وتراتيل طقسية كنسية ولفظة القرآن مستمدة من الاصل السرياني "قريان" وتعني كتاب الفصول، ومحمد لم يكن يهدف عند ترجمة هذا القريان من السريانية إلى العربية إلى إنشاء دين جديد، بل كان يهدف إلى إنشاء إرسالية تبشيرية مسيحية. ودرس لكسمبورغ صفات اللجنة في القرآن الكريم وزعم أنّ أصلها يرجع إلى نصوص سريانية تعرف "بالميامر" ألفها أفرام السرياني (ت 373م) وأوضح أن لفظة حور المتواترة في القرآن وصفا لحور عين الجنة، إنّما هي صفة سريانية للعنب عندما تكون حباتها صافية وبارزة في حجمها.

نتبين أنّه رغم ما حققته العلوم الإنسانية من تقدّم معرفي وأهمية ما وصلت إليه من حقائق، لكن الاستشراق ظلّ متمسكا بما صنعه الخيال الغربي من تصوّرات حول الشرق ولم تستطع محصولات العلوم الإنسانية الحديثة ازاحتها من الوعي الغربي وهو ما يفسّر استمرار المواقف اللانسانية للغرب من القضايا العربية الإسلامية كقضية الشعب الفلسطيني الذي يخضع لتطهير عرقي وإبادة جماعية.

الاستنتاجات

نستنتج في نهاية الورقة البحثية أنّ ما يربط الشرق بالغرب تاريخي ومستمر، ولا يمكن أن ينقطع، ولا نعتقد أنّ عرى التواصل بينهما يمكن أن تنفصم. غير أنّ هذه الروابط والعلائق تتخذ عبر السيرورة التاريخية أنماطا مختلفة تحكمها المصالح وموازين القوى، وقد شكّل الاستشراق نمطا من أنماط هذه العلائق، لكنّه بُني على المتخيل لا على التاريخي، وتأسس على النوازع النفسية والأيدولوجية

والعقائديّة لا على الحقائق الواقعيّة والعليّة لذلك ظلّت الأسبقيّة التاريخيّة في العقائد - باعتبار المسيحيّة أسبق تاريخياً من الإسلام - مدعّمة بالأسبقيّة الحضاريّة في المرحلة المعاصرة متحكّمتين في النظرة الغربيّة للشرق، وهي نظرة ظلّت قائمة على الدونيّة الوجوديّة في معنى أنّ الشرقيّ ذو ماهيّة وجوديّة أقلّ مرتبة ونوعاً من الماهيّة الوجوديّة للغربيّ، هذا التصرّو- وقد أضحي معتقدا لدى الغربيين - أنتج صوراً نمطيّة لم تقو العلوم الإنسانيّة المعاصرة على إزاحتها بل ما زالت الصور الكاريكاتوريّة للرسول محمد تطلّ علينا بين والفينة والأخرى وهي إعادة صياغة وإخراج لما قاله يوحنا الديرمنيقي.

لا يمكن في حقيقة الأمر أن ننتظر من علوم أمتجها الغرب وطورها أن تطهر صورتنا لديهم وتنقيها ممّا تراكم عليها وحوّلها عبر التاريخ من تشوّهات وليس أدلّ على ذلك من قبول الغرب - وإن بالسكوت - الإبادة الجماعيّة للفلسطينيين، بل يفترض أن ينهض مبحث الاستغراب وغيره من المباحث لإثبات الذات ورتق الفتق بين المتخيّل والتاريخي.

الهوامش:

¹ انظر مثلاً ، عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر يوسف، ط1، مطبعة العالم العربيّ، القاهرة 1973.

² - انظر ادوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربيّة للشرق، ترجمة د. محمد عناني، ط1، رؤية للنشر القاهرة 2006.

³ انظر مثلاً، القديس يوحنا الديرمنيقي، الهرطقة المئة، منشورات النور 1997.

⁴ انظر، يوحنا الديرمنيقي، الهرطقة المائة، مرجع سابق.

⁵ محمد طاع الله، خصومة الاستشراق، الخطاب والرهانات، ط1، منشورات مجمع الأطرش للكّتاب، تونس 2015 ص 20.

⁶ انظر، مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقين، ما لهم وما عليهم، طبعة دار الوراق للنشر والتوزيع، د - ت.

⁷ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفيّة الفكرية للصراع الحضاري، ط2، دار المنار القاهرة 1984، ص 115.

⁸ هشام جعيط، أورباً والإسلام، صدام الثقافة والحضارة، ط 2، دار الطليعة بيروت 2001، ص 79.

⁹ إدوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربيّة للشرق، ترجمة محمد عناني، ط1، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة 2006، ص 125.

¹⁰ انظر مثلاً ، جون فان فلوتن ، أبحاث في السيطرة العربيّة والتشيع والمعتقدات المهديّة، في ظلّ خلافة بني أمية ، ترجمة إبراهيم بيضون ، دار النهضة العربيّة ، بيروت 1996.

¹¹ تيودور نولدكه، تاريخ القرآن، نقله إلى العربيّة جورج ثامر، ط1، بيروت 2004.

¹² انظر مارفاليوث ، العلاقات بين العرب وبني إسرائيل قبل ظهور الإسلام، تحقيق أنس عبد الخالق محمود، ط1، دار رؤية للنشر مصر 2023.

¹³ شتيفان فيلد (1937-) أحد أبرز وجوه الاستشراق الألماني المعاصر، وهو أستاذ اللغات السامية والدراسات الإسلامية في جامعة بون الألمانية، له عدد من المؤلفات المهمة في الدراسات القرآنية والأدب العربي والكلاسيكي. وله حضور بارز ومشاركة فعّالة في النقاشات التي دارت حول سياسات الشرق الأوسط وثقافته، وكذا العلاقة مع أوروبا والولايات المتحدة.

¹⁴ المبروك الشيباني المنصوري، صناعة الآخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر، من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات ، بيروت 2013.

¹⁵ Bernard Louis ,The question of orientalism. new york Reviu books , june 24 1982,p 3.

¹⁶ أوليفيه مووس، تيار الاستشراق الجديد والإسلام، من الشرق الشيوعي إلى الشرق المسلم، ترجمة عومرية سلطاني، مرصد 3 كرأس علمية محكمة، وحدة الدراسات المستقبلية، مكتبة الإسكندرية مصر 2010، ص 5.

¹⁷ Montgomery, L'influence de l'Islam sur l'Europe médiévale , Librairie Watt William

Orientaliste – P Geuthner 1974, p 125.

¹⁸ إدوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، مرجع سابق، ص 460.

¹⁹ مؤسسة رائد، هي منظمة غير ربحية وخليّة تفكير أميركية تأسست في الأصل عام 1948 من قبل شركة طائرات دوغلاس لتقديم تحليلات وأبحاث للقوات المسلحة الأميركية. وتمول أبحاثها من وكالات حكومة الولايات المتحدة، ومن مؤسساتها معهد أبحاث RAND للدفاع الوطني، وهو مركز معني بتمويل الأبحاث فيدرالياً وتطويرها، وممول من قبل مكتب وزير الدفاع وهيئة الأركان المشتركة ومركز القيادات الموحدة ووزارة البحرية ومشاة البحرية ووكالات الدفاع وهيئة الاستخبارات الدفاعية، وقد قام بعدة أبحاث ودراسات تعنى بشكل خاص بأمور الشرق الأوسط، منها بناء شبكات الاسلاميين المعتدلين وتمت ترجمته من قبل عدة جهات مهتمة وقد صار تمويل البحوث والدراسات السوسولوجية في يد المؤسسات الاقتصادية الكبرى والأجهزة الحكومية وهذا ما جعلها للمؤسسات والأجهزة تتحكم في نوعيه الابحاث واتجاهاتها.

²⁰ الفيلم على الموقع، <https://www.google.com/search?q>

²¹ فاضل الربيعي، ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان 2007 ص 2.

²² انظر امنه الجبلاوي، الإسلام المبكر: الاستشراق الجديد بآريسا كرون ومايكل كوك، ط1، نشر دار الجمل. 2008، ص 162.

قائمة المصادر والمراجع :

(I) قائمة المراجع

1- العربية

- ✓ الجبلاوي، (آمنه) الإسلام المبكّر: الاستشراق الجديد باتريسا كرون ومايكل كوك، ط1، نشر دار الجمل، ألمانيا 2008.
- ✓ جعيّط (هشام)، أوربًا والإسلام، صدام الثقافة والحضارة، ط2، دار الطليعة بيروت 2001. الدمشقي (يوحنا)، المرطقة المائة، منشورات النور، 1997.
- ✓ حلاق (وائل) قصور الاستشراق، منهج في نقد العلم الحديث، ترجمة عمرو عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت 2019.
- ✓ الربيعي (فاضل)، ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان 2007.
- ✓ زقزوق (محمود حمدي)، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط2، دار المنار القاهرة 1984.
- ✓ السباعي (مصطفى)، الاستشراق والمستشرقين، ما لهم وما عليهم، طبعة دار الوراق للنشر والتوزيع، د - ت.
- ✓ سعيد (إدوارد)، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة 2006.
- ✓ طاع الله (محمد)، خصوصية الاستشراق الخطاب والرهانات، ط1، مجمع الأطرش للكتاب المختص تونس 2015.
- ✓ عطية ع (زيز سوريال)، العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر يوسف، ط1، مطبعة العالم العربي، القاهرة 1973.
- ✓ العقيقي (نجيب)، المستشرقون، طبعة دار المعارف مصر 1964.
- ✓ فان (فلوتن جون)، أبحاث في السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية، في ظلّ خلافة بني أمية، ترجمة إبراهيم بيضون، دار النهضة العربية، بيروت 1996.
- ✓ مارقاليوث، العلاقات بين العرب وبني إسرائيل قبل ظهور الإسلام، تحقيق أنس عبد الخالق محمود، ط1، دار رؤية للنشر مصر 2023.
- ✓ مووس (أوليفيه)، تيار الاستشراق الجديد والإسلام، من الشرق الشيوعي إلى الشرق المسلم، ترجمة عومرية سلطاني، مرصد 3 كرأس عليّة محكمة، وحدة الدراسات المستقبلية، مكتبة الإسكندرية مصر 2010.
- ✓ المنصوري (مبروك الشيباني)، صناعة الآخر المسلم في الفكر الغربي المعاصر، من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا، مركز إثماء للبحوث والدراسات، ط1، 2014.
- ✓ نولدكه (تيودور)، تاريخ القرآن، نقله إلى العربية جورج ثامر، ط1، بيروت 2004.
- ✓ يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بدايات القرن العشرين، تعريب عمر لطفني العالم، ط1، دار قتيبة دمشق 1996.

2- الأجنبية

- Bernard Lewis. "The Question of Orientalism. In New York Times Review of Books. June, 1982
- ✓ Watt ,(Montgomery), L'influence de l'islame sur l'europa médivale, R.E.T Paris
- (II) المواقع الإلكترونية
- الفيلم على الموقع، 2007/11/14، <https://www.google.com/search?q>